

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف - ميله

المعهد: معهد العلوم الاقتصادية والتجارية والتسيير

القسم: قسم الحقوق

دروس على الخط في مقياس

حقوق الإنسان

موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس ل.م.د

من إعداد:

د/ سليني محمد الصغير

السنة الجامعية: 2023/2022

المحور الأول:

التطور التاريخي لحقوق الإنسان

لا يمكن إنكار حقيقة تؤكد وجود قواعد قانونية إنسانية تاريخية تتعلق باحترام حقوق الإنسان تختلف عن القواعد المعمول بها في عصرنا الحاضر لكنها لا تقل أهمية في جوهرها عن أحدث ما توصلت إليه الأعراف والقوانين المعاصرة، فقد ناضلت البشرية طويلا في سبيل المطالبة بحقوق الإنسان المختلفة، وأن أعظم الإنجازات التي حققتها الإنسانية في مسيرتها النضالية هي الانتقال من أوضاع كانت البشرية فيها مقيدة بقيود الرق والعبودية، إلى أوضاع تعتبر فيها ممارسة الانسان لحقوقه وحرياته الأساسية قضية تتمتع بحماية دولية. وقد كانت حقوق الإنسان وحرياته عبر التاريخ مفقودة وغامضة في مجتمع قائم على قاعدة الحق للأقوى و اعتبار الرق والتمييز العنصري حالة طبيعية، بيد أن تقدم الحضارة وترسخ أسس الدولة عبر مراحل تاريخية طويلة ترتب عليها تدوين حقوق الانسان وصياغتها في شكل مواثيق دولية ملزمة أدت الى خروج مسألة حقوق الانسان من نطاقها الوطني الى المستوى الدولي¹.

وكانت أولى مبادئ حقوق الانسان قد ظهرت على البسيطة، هي تلك المبادئ التي ظهرت في العصور القديمة وقد ساهمت الحضارات القديمة الفرعونية و البابلية، وعند اليونان والرومان والديانات السماوية القديمة - الديانة اليهودية او الديانة المسيحية - و أفكار ونظريات الفلاسفة والمفكرين القدامى، في بداية تشكل و بلورة هذه الحقوق غير أن هذه المرحلة عرفت بتسلط الحكام والانظمة.

¹ - صلاح عبد الرحمان الحديثي، سلامة طارق الشعلان حقوق الانسان بين الامتثال والاكراه في منظمة الامم المتحدة، ط1، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2009، ص8.

التطور التاريخي لحقوق الانسان في العصور القديمة

إن وجود حقوق الانسان كان منذ ظهور البشرية لأنها فطرية، فمنذ أن ولد الإنسان ولدت معه حقوقه، غير أن الوعي بهذه الحقوق والاعتراف بها تطلب مسيرة طويلة، والخضوع لظروف عدة، وظهرت مفاهيمها في التطبيق العملي أول مرة في تاريخ البشرية عندما ألف الانسان الآخر ونبذ العنف، واتفقوا على توفير سبل البقاء لمواجهة مصاعب الحياة، في نطاق الاسرة ثم القبيلة...

وسنتطرق في هذه الدراسة لحضارة بلاد الرافدين، ومصر القديمة وحضارة اليونان والرومان والحضارة الصينية القديمة، وفي الحضارة الهندية...

المحاضرة الثانية:

حقوق الإنسان في حضارة مصر القديمة وبلاد الرافدين

مقدمة.

يلاحظ في العصور القديمة وجود حضارات عديدة كحضارة بلاد الرافدين، ومصر القديمة وحضارة اليونان والرومان والحضارة الصينية القديمة، وغيرها من الحضارات، وعرفت هذه الحضارات مبادئ خاصة بالإنسان وحرية وعلية فإن هذه الحضارات جاءت في مراحل معينة فلا يمكن القول بأنها حقيقة اهتمت بحقوق الإنسان بالمعنى الواسع وبالتالي يمكن الاعتماد عليها في تقرير حقوق الإنسان الأساسية.

وستنطلق في بداية هذه الدراسة لحقوق الإنسان في حضارة مصر القديمة وبلاد الرافدين.

1- حضارة مصر القديمة.

عرف مجتمع الفراعنة في مصر تطوراً اجتماعياً ملحوظاً بالمقارنة مع ما سبقه من مجتمعات بدائية، فقد استطاع الفراعنة تنظيم مجتمعهم على أسس بسيطة تؤمن فرض سلطة مطلقة من جانب الفرعون على شعبه، مثلما تؤمن نوعاً من العدالة العامة لأفراد المجتمع. وكانت سلطة الفرعون ذات منشأ ديني، أي إلهي، فالملكية جاءت بقرار من الآلهة، واختارت الملك "مينس" ليعبر عن وجودها على الأرض، إذن الملك كان إلهاً في حياته ومماته¹.

وكان الملك يشغل عدة وظائف، إضافة إلى الوظيفة الدينية الأساسية التي يشغلها، كان للفرعون وظيفة عسكرية تتلخص في حماية شعبه وبلاده من الأخطار الخارجية، أما الوظيفة السياسية للملك، فكانت تركز على مسألتين وهما استتباب الأمن والنظام في البلاد، وإشاعة العدل بين الرعية².

ومما لا شك فيه فإن مصر الفرعونية عرفت إلى جانب الاعراف المحلية السائدة، والناجمة عن طبيعة المجتمع الزراعي في دلتا النيل، مجموعة من الشرائع والقوانين التي سنّها النظام الملكي المركزي. ويقال بأن الفرعون "بورخوس" الذي تولى عرش مصر في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد، أعطى البلاد دستوراً ينظم الحياة التجارية فيها³.

1- خضر خضر، مدخل إلى الحريات العامة وحقوق الإنسان، ط3، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2008، ص30.

2- محمد نعيم علوه، موسوعة القانون الدولي العام، حقوق الإنسان، ج8، ط1، منشورات زين الحقوقية- مركز الشرق الأوسط الثقافي، بيروت، لبنان، 2012، ص10-11.

3- المرجع نفسه، ص11.

وليس هناك من مجال لممارسة الحرية الفردية والاجتماعية أو الاقتصادية أمام الفرعون، فهو الذي يحدد دور الأفراد والفئات في المجتمع. ويعين لكل عامل نوعية العمل الذي عليه القيام به، والاجر الذي يجب أن يتقاضاه، وهو يفرض القيام بأعمال السخرة في مراقبة أفنية الري، لا وإنشاء السدود وغيرها. ومن واجب الطبقات الشعبية أن تتحمل كل المشاق في سبيل الفرعون والبلاد¹.

وعرف المجتمع المصري الفرعوني بنوع من التنظيم الجيد والدقيق وقتها، فالأسرة تركز على أعراف وتقاليد تعطي دورا مرموقا للمرأة، ونستطيع ان نلمس ذلك من خلال:

- وجود نوع من عقد الزواج الذي يحدد مساهمة كل من الزوجين المادية، ويسمح لكل منها بالاحتفاظ بملكية ما يقدمه.

- في حالة وفاة الزوج وعدم وجود من بلغ سن الرشد من الأبناء، فإن السلطة العائلية تنتقل الى الأم التي يقع على عاتقها إدارة شؤون الأسرة داخل البيت، وحتى خارجه.

- إحاطة الأطفال باهتمام وعناية خاصة وعطف كبير من طرف المجتمع الفرعوني.

- في حالة وفاة الأب يحق للابن البالغ سن الرشد القيام بدور رب الأسرة تجاه أمه وإخوته.

- الاهتمام بالإنجاب لحرص الانسان المصري على دوام الأسرة، وتأمين دفن لائق بعد الوفاة وفقا للطقوس الدينية السائدة².

وكان المجتمع الفرعوني مكون من خمس فئات أساسية وهي:

- العمال: هذه الفئة كانت تعيش أوضاع صعبة بسبب المشقة التي كانت تلاقيها في أثناء أداء عملها، بينما كان الحرفيون في وضع اجتماعي جيد بسبب حاجة البلاط والطبقات الميسورة لخدماتهم.

- الفلاحون: هذه الفئة كانت تمارس عملها لدى الاقطاعيين الذين كانوا يتقاسمون معهم المحاصيل، ويخضعونهم لأعمال السخرة في السدود وأفنية الري.

- الجنود: وتنقسم فئة الجنود إلى قسمين:

¹- محمد نعيم علوه، المرجع السابق، ص12.

²- المرجع نفسه، ص12-13.

- جنود الصف: هؤلاء الجنود كانوا غالبا من المرتزقة، والذين كان الفرعون يمنحهم بعض الاراضي الصغيرة كإقطاعات من أجل استغلالها في الزراعة وغيرها...، كما يسمح لهم بتوارثها مع الابناء، حيث كان الولد يحل محل أبيه في الجندية والزراعة.
- الضباط: هؤلاء كانوا ينتسبون الى الأسر العريقة التي كانت دائما في خدمة الجيش والادارة، وكان تتمتع فئة الضباط هذه بوضع اجتماعي جيد يستفيدون فيه من الهدايا والأموال، و الاقطاعات الكبيرة التي كان تمنع لهم من طرف الفرعون.
- الكهنة: يحتل الكاتب في مجتمع مصر الفرعونية مكانة مرموقة في الدولة والمجتمع، ويأتي غالبا من نفس الأوساط الاجتماعية التي يأتي منها الكهنة، وهو مؤهل لاحتلال أعلى المناصب الادارية بحسب قربه من البلاط والفرعون على غرار الكهنة.
- الكهنة: تعد فئة الكهنة أعلى طبقة في مجتمع مصر الفرعونية، حيث يمارسون تأثيرا كبيرا على الفرعون باعتبارهم القيمين مباشرة على خدمة الآلهة، وعلى الشعب المتمسك الى درجة كبيرة بعقائده الدينية المقدسة¹.

ولقد كانت حضارة مصر الفرعونية في مقدمة الحضارات التي احترمت حقوق الانسان، وطبقتها عبر العصور ونستطيع ان نلمح العديد من مظاهر احترام حقوق الانسان في الحضارة الفرعونية القديمة فمنها على سبيل المثال أن المصريين القدماء كانوا أول من اعترفوا للإنسان بالحق في الحياة، فكانوا يؤجلون تنفيذ حكم الاعدام في المرأة الحامل الى أن تضع حملها. كذلك لم يكن يسمح المصريين القدماء بؤاد الاطفال برغم أنه كان حقا من حقوق الآباء في الحضارات الأخرى كالحضارة الرومانية².

كما عرف المصريون مبدأ المساواة بين جميع المواطنين، فكان المصريون جميعا سواسية أمام القانون، لا فرق بين غني وفقير، ولا بين عبد وحر ولا بين مواطن وأجنبي. وقد عرف المصريون القدماء التأمين الصحي منذ زمن بعيد وقد شهد بذلك المؤرخ "ديودور الصقلي"³.

¹ - محمد نعيم علوه، المرجع السابق، ص13-14.

² - صلاح عبد الرحمان الحديثي، سلاقة طارق الشعلان، حقوق الانسان بين الامتثال والاكراه في منظمة الامم المتحدة، ط1، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2009، ص11.

³ - ترك هذا المؤرخ وثيقة يقول فيها: "إن المجتمع المصري القديم يتيح لأفراده حق العلاج المجاني حتى في أثناء الحملات الحربية أو الرحلات داخل البلاد، وذلك لأن الاطباء يتقاضون معاشهم من الحكومة"، أنظر: صلاح عبد الرحمان الحديثي، سلاقة طارق الشعلان، المرجع السابق، ص11.

أما عن التعليم فقد ثبت أن مصر الفرعونية شجعت أبناءها ذكورا وإناثا على التعليم واحترمت متقفيها، وكانت أول ثقافة على الأرض تكرم حكماءها، كما شجع حكماؤها على تعلم الكتابة حيث يصف أحد الحكماء الكتابة بأنها: "أثمن من أي ميراث في مصر، وأثمن من أي مقبرة في الغرب"¹.

2- حضارة بلاد الرافدين.

كانت حضارة بلاد الرافدين أحد أقدم الحضارات في العالم كحضارة البابليين والآشوريين ويشير دارسي هذه الحضارات إلى أن حقوق الإنسان وواجباته لم تكن مجهولة لدى الاقوام التي سكنت بلاد الرافدين.

وعلى غرار مصر الفرعونية كان الملك في بلاد الرافدين يتمتع بوظيفتين أساسيتين دينية وعسكرية، ففي الجانب الديني يتبوأ الملك منصب الكاهن الأكبر للإله الوطني، أما من الجانب العسكري فكان الملك دائما على رأس قيادة جيشه، وهو الذي يحقق النصر في الحرب لهذا الجيش.

كما يقوم الملك بالإشراف على الإدارة، ويجعل من قصره مركزا لكبار موظفي الدولة الذين يقومون بتسيير الشؤون العامة. ويظهر تأثير الملك أيضا بشكل بارز جدا في ميدان القضاء، لأن العدالة تتحد ذاتيا بإرادة الآلهة التي لا يحق للبشر مناقشتها أو الاعتراض عليها².

وما يلاحظ في حضارة بلاد الرافدين وجود العديد من الأفكار الدالة على حقوق الإنسان كالحرية والعدالة والمساواة، والتي تجسدت في العديد من القوانين وأحكام المحاكم ومنها قانون حمورابي التي وجدت في عام 1700 قبل الميلاد لتكون من أوائل الأنظمة المكونة لمجموعة القوانين في تاريخ البشر، وإحدى أفضل الأمثلة المحفوظة لمثل هذه النوع من الوثائق.

ويعرف حمورابي بنفسه في مقدمة قانونه بأنه: " الأمير الذي يخاف الله، وأن السماء نادته من أجل الشعب ورضاءه وليقيم العدل في الأرض ويقتلع جذور الشر والأشرار حتى لا يضطهد القوي الضعيف"³.

¹ - صلاح عبد الرحمان الحديثي، سلافة طارق الشعلان، المرجع السابق، ص11.

² - محمد نعيم علوه، المرجع السابق، ص14-15.

³ - هاني سليمان الطعيمات، حقوق الإنسان وحياته الأساسية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2000، ص51.

وقد وضع حمورابي قوانين وعقوبات لمن يخرق القانون الذي ركز على السرقة وإتلاف الممتلكات، وحقوق المرأة، وحقوق الأطفال، وحقوق العبيد، وتضمن عقوبات لجريمة القتل والموت والإصابات. ولا تقبل هذه القوانين الاعتذار، أو التوضيح للأخطاء إذا ما وقعت.

ولقد فتح المجال أمام الجميع لرؤية هذه التشريعات الجديدة كي لا يتم التذرع بجهل القوانين كعذر ورقمت بنود القانون من 1 إلى 282 بند ليتم نحتها على عمود من الحجر طوله "مترين وخمسة عشر سنتمترًا"، ولقد تمت الإشارة إلى هذه الشريعة كأول مثال لمفهوم قانوني يشير إلى أن بعض القوانين ضرورية و أساسية حتى أنها تتخطى قدرة الملوك على تغييرها¹.

ولقد قسمت الطبقات الاجتماعية وفق قانون حمورابي إلى ثلاث طبقات على النحو التالي:

- الأحرار: وهم الطبقة العليا في المجتمع، أو المواطنون الذين يتمتعون بحقوق كاملة عن طبقتي الوسطى والعبيد، ولاسيما لجهة التعويضات عن الأذى الذي يمكن أن يلحق بهم من جراء عمل معين، فمن يقتل ابن رجل حر يقتل ابنه، ومن يكسر ذراع رجل تكسر ذراعه، وهنا يطبق قانون العين بالعين والسن بالسن بدقة بالغة. أما إذا قام رجل بضرب ابنة رجل حر وسبب لها إجهاضاً فإن عليه أن يدفع عشرة مثاقيل من الفضة، ويتدنى هذا التعويض إلى النصف بالنسبة لابنة رجل من الطبقة الوسطى، وإلى مثقالين فقط إذا كانت ابنة عبد،.. الخ².

ويظهر هذا التفاوت بين الأحرار والطبقات الأخرى في الأجر المستحق لقاء إحدى الخدمات.

- الطبقة الوسطى: هذه الطبقة ليست واضحة المعالم لجهة تكوينها، وليس هناك ما يدل على أصلها، أو التأكد من أنها حصرت بمهن محددة. ويبدو أن العبيد السابقين، أي أولئك الذين استطاعوا شراء حريتهم أو الحصول عليها بطريقة أو بأخرى، كانوا يؤلفون السواد الأعظم من هذه الطبقة. وامتيازات من يمثلون هذه الطبقة تساوي نصف امتيازات طبقة الأحرار، و أكثر من ضعفي طبقة العبيد³.

¹ - صلاح عبد الرحمان الحديثي، سلافة طارق الشعلان، المرجع السابق، ص10.

² - سهيل حسين الفتلاوي، موسوعة القانون الدولي، حقوق الإنسان، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2007، ص19.

³ - محمد نعيم علوه، المرجع السابق، ص16.

- العبيد: كان العبد في الدولة البابلية يحتل منزلة وسطى بين المعادن الثمينة والحيوانات الاليفة الهامة في الحياة العائلية.

وتتكون طبقة العبيد من أسرى الحرب، أو من عملية الشراء القانونية لهم التي خارج حدود البلاد. وهم يتوالدون كعبيد حتى فترة انعتاقهم، أو كأحرار أصبحوا عبيدا في حالة قيام رجل حر ببيع أولاده، لأن الرجل الحر، وبسبب قانون حمورابي يتمتع بسلطة مطلقة على أولاده حتى زواجهم، ويعتبر الأولاد الذين هم ثمرة زواج رجل حر مع عبدة عبيدا لا يعتقون إلا عند وفاة والدهم¹، علما بأن والدتهم تصبح حرة منذ اليوم الأول لزواجها.

ويستطيع العبد أن ينال حريته إذا ما قام سيده بوبهه إياها دون مقابل أو مقابل مبلغ ما. كما يمكن أن يحصل العبد على حريته عن طريق شرائها بالمال الذي يمكن أن يقترضه أو عن طريق خدمات استثنائية يقدمها لسيده². ونالت الأسرة في قانون حمورابي نصيبها الأوفر:

- أعطى للمرأة استقلالاً لشخصيتها القانونية، ولا سيما في موضوع إدارة أملاكها فلها حق التصرف بكل حرية في أموالها الثابتة أو المنقولة.

- العقد شرط ضروري و أساسي في الزواج.

- المرأة ليست مسؤولة عن ديون زوجها التي سبقت الزواج، لكن ينفذ عليها مبدأ التكافل والتضامن للديون التي تعقد بعد الزواج. وإذا كان الزوج جنديا واستدعى للخدمة فيعود للزوجة آنذاك حق إدارة أملاكه إن لم يكن له ولد بلغ سن الرشد، وتصبح الزوجة في هذه الحالة مالكة لثلث الربع.

- الزواج من امرأة واحدة هو القانون السائد، لكن عقم الزوجة ومرضاها يعدان سببان من أسباب الطلاق. ويسمح القانون للزوج بالزواج مرة ثانية إن لم ينجب من زوجته الأولى أولادا، كما يسمح له بالتبني بموجب عقد، ويؤدي إنكار المتبني لعائلته الجديدة الى بيعه كعبد. ويمكن للمتبني إذا رزق بالأولاد لاحقا أن يفسخ العقد وبشروط.

- وتحدد النصوص القانونية كيفية توزيع الإرث بين الزوجة والأولاد، كما تحدد الهبات التي يقدمها الزوج لأولاده أو حتى الغرباء¹.

¹- سهيل حسين الفتلاوي، المرجع السابق، ص18.

²- محمد نعيم علوه، المرجع السابق، ص17.

وتبقى قيمة قانون حمورابي في كونها أول محاولة مكتوبة، تصل إلينا بصورتها الواضحة المباشرة، والتي استطاعت أن تنقل الأعراف المتوارثة عبر العهود التاريخية السابقة لها كالعهدين السومري والأكدى لتصيغها في قواعد قانونية إلزامية محددة بشكل دقيق.

¹ - محمد نعيم علوه، المرجع السابق، ص 17-18.